معركة صفين في مقالات المستشرقين في دائرة المعارف الاسلامية

ڤيان أحمد علي عوفي الجبوري
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية
Vian.ahmed1715@gmail.com

أ٠د٠ زينب فاضل مرجان
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية

ملخص البحث :

تبين مما تقدم في متن البحث ان الاساءة واضحة وصريحة من قبل المستشرقين لأحد أبرز اعلام الاسلام وهو الامام علي عليه السلام وتحديداً في دائرة المعارف الاسلامية لاحتوائها على اكثر من مستشرق ومن مختلف الجنسيات وفي واقع الحال هم على اختلاف توجهاتهم و انتماءاتهم يحملون ضغينة واحقاد وغير منصفين في كتاباتهم فضلاً عن عدم نقل المادة التاريخية بالأمانة العلمية كما يتوجب على الكاتب التاريخي .

الكلمات المفتاحية: الامام علي، معاوية، عمرو بن العاص، معركة، صفين

Abstract

Turns out in the board search I name him the clears by the orientalists for most know the Islam which Imam Ali peace be upon him specifically in a circle Islamic knowledge because they contain more than orientalists and different nationalities and in fact they are different in their attitudes and affiliations hold grudges and hatreds and unfair in their writing as well as not to transfer the historical material and scientific in tegrity as the historial write

Keyword: ImamAli .muawiya .Amr bAl AS .batter .siffeen

المقدمة :

شغلت معركة صفين المؤرخين والباحثين العرب بوصفها احدى المعارك الداخلية التي تسببت بها ظروف تتعلق بقيادة الدولة الاسلامية وهذا ما فهمه الغرب صراعاً سياسياً حول السلطة لإدارة الحكم في البلاد الاسلامية وهذا الفهم بالتأكيد فهم خاطئ اذا ما كان الامر يتعلق بمعركة صفين فهي صراع بين الحق والباطل وبين الدين واللادين، ذلك ان معاوية كان هدفه الاستحواذ على السلطة بصرف النظر عن القواعد التي اسسها رسول الله لإدارة الدولة في العدل والمساواة واشاعة روح التعايش والتسامح مع بقية الاديان والالتفات الى الاهتمام بالإنسان بوصفه الهدف الرئيسي للدين من خلال خلق اجواء من الاكتفاء والسعادة وحسن التعايش بالطرق التي شرعها الدين له .

ومعاوية بن أبي سفيان قد اشتغل على دهاء فهمه المستشرقين على انه يمثل الخط المعتدل لقيادة الدولة من خلال ما رفع من شعارات تخيل للآخرين احقيته في تولي رأس السلطة السياسية كمطالب للثأر من مقتل قريبه الخليفة عثمان بن عفان ولعل ما انطلق به المستشرق لامنس في مقاله عن مطالبة معاوية بالأشخاص الذين اغتالوا عثمان كان السبب الرئيسي لإذكاء معركة صفين في الوقت الذي جاءت فيه حقيقة مشوهة عن الامام علي عليه السلام من انه كان متواطئ مع قتلة عثمان، وان هذا الوجه للحقيقة هو الوجه الاخر فلها وجه لم يره المستشرق بقصدية بل لم يحاول التركيز عليه وهو (أطماع معاوية في تولي السلطة) وقد تبين ذلك واضحاً من خلال متابعة ما نقله المستشرقين عن اهداف معاوية ومن بين هؤلاء ما وضعه هيوارت حول تركيزه على من كان مسانداً للإمام علي عليه السلام فيما ذهب اليه من ان معاوية هو غير مؤهل لقيادة المسلمين لما أبدى في شروطه من تخبط اوقعه في ورطة اثناء المفاوضات التي اجراها مع الامام علي عليه السلام .

(٢) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء في محافظة بابل ، شعبة الاحصاء الزراعي ، بيانات غير منشورة، لعام (١٩٩٧).

ملحق (٢)

التوزيع الجغرافي للمساحات المزروعة وكمية الانتاج لمحصول (الشعير) بحسب الوحدات الادارية في قضاء الهاشمية للاعوام (١٩٩٧ و٢٠٠٧و ٢٠١٦)

الوحدة الادارية	١٩٩٧		٢٠٠٧		٢٠١٦	
	المساحة (دونم)	الانتاج (طن)	المساحة (دونم)	الانتاج (طن)	المساحة (دونم)	الانتاج (طن)
ناحية المدحتية	١١٩٧٣	٢٤٠٦	١٦٨٣٢	٣١٥٢	٣٣٧٦	١٦٠٨
ناحية الشوملي	٩٩٠٣	٢٠٤٠	١١٧٩٩	٢١٥٠	١٦١٠٤	٩٠٣٧
ناحية القاسم	١٤٤٥	٣٩٨	٦٠٦٠	١٧٢١	٣٧٣١	١٨٨٨
ناحية الطليعة	٦٥٥٦	١٥٤٠	٨٤٦٨	١٨٤٥	٦٢١٣	٣١٠١
المجموع	٢٩٨٧٧	٦٣٨٤	٤٣١٥٩	٨٨٦٨	٢٩٤٢٤	١٥٦٣٤

المصدر:- (١) وزارة الزراعة، مديرية الزراعة في محافظة بابل، قسم الإحصاء، بيانات (غير منشورة)، للاعوام (٢٠٠٧ و٢٠١٧) .

(٢) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء في محافظة بابل ، شعبة الاحصاء الزراعي ، بيانات غير منشورة، لعام (١٩٩٧).

حاول محبوا السلام من الجانبين ان يحولوا دون وقوع ذلك ويقول الدينوري ان الحال ظلت كذلك مدى شهري ربيع الثاني وجمادي الاولى من سنة ٣٦هـ على ان هذا التقدير يفسح وقتاً طويلاً للغاية لما يتطلبه التمهيد للمعركة التي بدأت في قول اليعقوبي (التنبيه،التاريخ) في اوائل شهر صفر والتي صححتها رواية اليعقوبي التي تذهب الى ان موقعة الاقتراب من الماء كانت في ذي الحجة ويرجح ايضاً ان الطبري قد أخطأ في قوله ان كلا من علي ومعاوية كانا يرسلان في هذا الشهر مراراً وفي بعض الاحيان مرتين كل يوم ، الاعيان المبرزين من الرجال مع جنود المشاة والفرسان ليقاتل بعضهم بعضاً الامر الذي لم يؤدِ مع ذلك الى نشوب معركة شاملة اذ ان كلاً من الفريقين كان يخشى النتائج المشؤومة الخليفة بأن تنتهي اليها هذه المعركة ولابد انه قد وقعت هنالك كما يذهب فلهاوزن صورة مماثلة للمعركة التي نشبت فيما بعد واراد الطرفان ان يُفسحا المجال لأي احتمال يؤدي الى عودة الوئام فاتفقا على المهادنة ابان الشهر الحرام على مألوف المسلمين وهو شهر المحرم من سنة ٣٧هـ/١٩ يونية_١٨يولية٦٥٧م ولم تنجح هذه الهدنة واعلنت الحرب في النهاية في اوائل صفر وهكذا بدأت موقعة صفين وليس من اليسير الحصول على فكرة واضحة عن سير المعركة اذ ان الرواة يروون حشداً كبيراً من الوقعات الفردية التي لا تزودنا بصورة عامة لها ولا تُفيد الا في تمجيد قبائل بأعيانها فحسب وهم ايضاً يسوقون ارقاماً شديدة التفاوت عن عدد الجيوش ومراكز فرقها وقوادها وسار القتال وفق التقاليد القديمة فكانت كل قبيلة تدير المعركة مستقلة عن الاخرى ومن ثم كانت حركة علي بارعة حين رتّبَ اقسام القبائل المختلفة في جيشه بحيث اصبحوا يقفون وجهاً لوجه امام ابناء قبائلهم ، وتُجمع الروايات كلها على ان ذلك القتال الذي كان يتجدد دوماً ويتّسع مداه كان قتالاً دامياً ولقى كثير من مشاهير الرجال حتفهم فيه مثل عمار بن ياسر[١] وهاشم بن عتبة[٢] من جانب علي وابن عمر: عبيد الله[٣] من فريق معاوية (انظر رثاءه في ياقوت) وقد لقي علي معونة كبيرة من الاشتر[٤] الذي عُرِفَ بشجاعته وحنكته اذ استطاع هذا الرجل ان يهيء للقوات العراقية طريقاً مفتوحاً امناً الى النهر كما ابلى بلاء حسناً ابان هذه المعركة في مبارزات عدة ، وفيما يلي ما رُوي عن نتيجة هذه المعركة : بعد ان سارت الحرب وقتاً ما دون ان تصل الى نتيجة حاسمة تمكن الاشتر في الليلة المعروفة بليلة الهرير (من هرّ اي عوى : انظر ياقوت) وهي الليلة السابقة لليلة الجمعة ١٠ من صفر/٢٨ يولية ويقول الطبري انها الليلة السابقة ليوم الخميس ، وفي صباح اليوم التالي من احكام الخناق على الشاميين والتضييق عليهم حتى استبد اليأس بمعاوية وفكر في الفرار من المعركة ولم يمنعه من ذلك الا تذكر بضعة ابيات معينة لابن الاطنابة (الكامل ، الطبري) وفي هذا الموقف الخطير نصحه الداهية عمرو بن العاص ان يضع بضع نسخ من القران الكريم على رؤوس الحراب ليرمز بذلك الى ان الحرب يجب ان تتوقف وان يُترك الحكم فيها لكتاب الله وعلى العكس كان علي يرى ان قضاء الله في نتيجة المعركة (الطبري)"[٥] واسند المستشرق مادته الى ياقوت الحموي والطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي في المروج والتنبيه وابن سعد وابن عبد ربه ، ويبدو ان بوهل لديه بعض الالتباس والتداخل بين المصادر او انه لم يطلع عليها

---

(١) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة وهو من السابقين الاولين والمبشرين بالجنة من قبل رسول الله مع اهله وشهد مع الامام علي معاركه حتى قتل في صفين وكان رسول الله قد بشره قائلاً : تقتلك الفئة الباغية . ابن الاثير ، اسد الغابة ، ١٦٩٢ .

(٢) هو هاشم بن عتبة بن ابي وقاص صحابي جليل لرسول الله ويلقب بالمرقال وشهد الحروب مع الامام علي وتولى قيادة الجيش في صفين توفي عام ٣٧هـ . الزركلي ، الاعلام ، ٦٦/٨ .

(٣) عبيد الله بن عمر بن الخطاب أمه ام كلثوم بنت جرول الخزاعية وشارك في معركة صفين بجانب معاوية وقتل فيها عام ٣٧هـ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣/ ٢٦٥ .

(٤) هو مالك بن حارث بن عبد يغوث من مسلم بن ربيعة بن حارث بن جذيمة النخعي من اصحاب علي بن ابي طالب وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها وولاه علي مصر وشرب شربة من عسل فمات فيها . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢١٣/٦ .

(٥) بوهل ، دائرة المعارف الاسلامية ، صفين ، ٢٤٣/١٤-٢٤٤ .

بشكل صحيح حيث اشار في متن مقاله الى ان مؤلفات اليعقوبي (التنبيه، التاريخ) ومن المعروف ان اليعقوبي يسمى كتابه باسمه تاريخ اليعقوبي بينما التنبيه والاشراف يعود للمسعودي لكن المستشرق اسند كلا المصدرين لليعقوبي ، واذا كان يقصد بأن هناك كتابين يعودان لمؤلف واحد أحدهما التنبيه والاخر تاريخ فمن المحتمل ان يكون قد قصد تاريخ المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر ولكنه في الحال هذه فأنه قد أخطأ ايضاً في نسبة الكتابين لغير مؤلفهما الصحيح ، مما يشير الى عدم دقته في استقاء معلوماته .

واما بالنسبة للمحتوى التاريخي ففيه يذكر المستشرق تأكيد الامام علي انه لم يأتِ للقتال بل للوصول الى اتفاق مع معاوية وعدم الخوض في حرب تُسفَك فيها دماء المسلمين ويؤخذ المظلوم بذنب الظالم ولكنه ما وجد من معاوية وعمرو غير الاصرار على مطالبهما الدفينة بولايتي الشام ومصر والعلنية والشكلية بالثأر لعثمان ، والامام علي بقي على مبداه بعدم البدء في مقاتلة الطرف الاخر الا ان يبدأ هو بالقتال حيث حذر عليه السلام مالك الاشتر قائلاً: "واياك ان تُبدئ القوم بقتال الا ان يبدؤوك حتى تقاتلهم فتدعوهم وتسمع ولا يجر منك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة"[1]، وهذا اكبر دليل على عدم رغبته في الخوض في حرب ضد المسلمين حتى وان كانوا على غير حق .

وذكر بوهل امراً آخراً بقوله ان الامام علي قد دلّ مرة اخرى على سماحته حين سمح لحَمَلَة الماء من الشاميين بنقل المياه من جوار رجاله مما ادى الى انتشار روح التآخي بينهم وبين الشاميين ، اولاً نذكر ان المستشرق على الرغم من ذكره صفة ايجابية بحق الامام علي إلا انه لم يكن امينا بما فيه الكفاية لينقل الحدث بأكمله كما هو موجود في المصادر التي اشار اليها نفسه وانما انتقى من الرواية ما يشاء وترك ما يشاء حسب هواه وفي الموضوع الوارد اعلاه تجاهل المستشرق ما عمله معاوية باستحواذه على شريعة في الفرات والتي لم يكن هناك غيرها للشرب وامره بعدم السماح للمسلمين من جيش الامام علي بشرب الماء ورفضه بشكل قاطع ورغم ان عمرو بن العاص اشار عليه بأن لا يفعل ذلك الا ان معاوية اصرَّ على موقفه وعندما اشتد العطش بأفراد جيش الامام علي بدأ المسلمين من كلا الفريقين يتقاتلون فيما بينهم لإرواء ظمأهم وعندما استقر الامر لأصحاب الامام علي وغلبوا جيش معاوية لم يفعل عليه السلام ما فعلوه بجيشه وتعامل معهم بمنتهى الانسانية وسمح لكل الموجودين بأخذ ما يكفيهم من الماء[2] مما يدل على سمو نفسه ورفعة اخلاقه واصالة مبادئه ، تماماً بعكس ما بدر من معاوية عندما كانت شريعة الفرات تحت امرته ، لأن الامام علي لم تكن حربه ضد المسلمين ليمنعهم من الماء ولم يأخذ ذنب الضعفاء بجرم الاقوياء ولكن معاوية لم يتصرف كذلك بل انه اراد انهاك جيش الامام علي بعدم السماح لهم بشرب الماء لِيَدب الضعف فيهم ويتمكن بذلك من ضرب جيش الامام علي في صميمه والانتصار عليهم قبل بدء الحرب ، ومع ذلك فلم يمنعهم عليه السلام من اخذ كفايتهم من الماء وازدحم جيش الفريقان على الشريعة دون ان يؤذي انسانٌ انساناً ، وكان من الممكن للمسلمين في جيش معاوية الاستفادة من هذا الدرس البليغ الذي حدث امامهم والتمييز بين الحق والباطل اذ ان الانسان العاقل البالغ الحليم تكفيه الاشارة وهذه اشارة مهمة كان من الممكن ان يضعوها نصب اعينهم لمعرفة اصالة الامام علي واخلاقه وسماحته ودافعه الكبير الذي يصب بمصلحة الاسلام والسلمين وبالمقابل معرفة الخبايا الحقيقية لصاحبهم وما يدور في خلده وتسلطه على رقاب الضعفاء عندما سنحت له الفرصة .

ومن بعد أمير المؤمنين فإن الدور الابرز في صفين كان يستحوذ عليه اهم ركنين في جيش الامام علي وهما مالك الاشتر وعمار بن ياسر اللذين وصفهما معاوية بأنهما يدي الامام علي ، وفعلاً كانا كذلك ، وورد دورهما في دائرة المعارف

---

[1] الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ٣/٧٣ .

[2] الدينوري ، الامامة والسياسة ، ١/٨٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢/١٣٠ ؛ الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ٣/٧٤ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/٣٠٢ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ٣/ ٣٨٣ .